التحليل النفسي واللاوعي البصري: كيف يعكس الفن التشكيلي البنية الخفية للعقل الإنساني

View article مقال

م.د. انس كاظم ياسر كلية العلوم
Uns.k@sc.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد/ وحدة النشاطات الطلابية

الملخص

تسعى هذه المقالة إلى تحليل العلاقة الجدلية بين التحليل النفسي والفن التشكيلي، من خلال استكشاف كيفية تجسيد اللاوعي الفردي والجمعي في التكوينات البصرية. ينطلق المقال من الأسس النظرية التي وضعها سيغموند فرويد حول الأحلام والمكبوتات، وما أضافه كارل يونغ من مفهوم "اللاوعي الجمعي" والأركيتيبات الرمزية، ليبين أن العمل التشكيلي ليس مجرد ممارسة جمالية، بل هو نص بصري معقّد يعكس البنية الخفية للعقل الإنساني. يعتمد المقال منهجا تحليليا–نظريا يربط بين مفاهيم التحليل النفسي ونماذج من التعبير التشكيلي، مبرزا كيف تترجم الرغبات والصراعات الداخلية إلى رموز لونية وخطوطية قادرة على استثارة استجابات شعورية لدى المتلقي.

تتناول المقالة أربعة محاور رئيسية: الأول يوضح دور التحليل النفسي كمدخل لفهم الإبداع الفني، وا لثاني يفسر آليات اللاوعي البصري في الإدراك والإنتاج، والثالث يبرز البعد الاجتماعي للعمل التشكيلي بوصفه مرآة للاوعي الجمعي، أما الرابع فيحلل البنية الخفية للعقل الإنساني وتجلياتها الفنية عبر الرموز والأشكال. وتخلص الدراسة إلى أن الفن التشكيلي يمثل وسيطاً معرفيا يتكامل مع التحليل النفسي في الكشف عن أعماق النفس البشرية، حيث لا يفهم العمل الفني بوصفه جماليات معزولة، بل باعتباره سجلاً نفسيا–اجتماعيا يظهر ما يعجز الوعي عن قوله. وتؤكد النتائج أن الجمع بين التحليل النفسي والفن التشكيلي يعزز من فهم الإنسان لذاته، ويمنح الدراسات البصرية بعدا جديدا يجمع بين العلم والجمال.

الكلمات المفتاحية:التحليل النفسي، اللاوعي، الفن التشكيلي، الرموز، البنية الخفية.

Psychoanalysis and the Visual Unconscious: How Plastic Art Reflects the Hidden Structure of the Human Mind

Dr. Anas K. Yaser
University of Baghdad / College of Science

Abstract:

This study seeks to analyze the dialectical relationship between psychoanalysis and plastic art by exploring how both individual and collective unconscious are embodied in visual compositions. The research builds on the theoretical foundations of Sigmund Freud's theories on dreams and repression, as well as Carl Jung's concept of the "collective unconscious" and archetypal symbolism, to demonstrate that artistic creation is not merely an aesthetic practice but a complex visual text that reflects the hidden structure of the human mind. The study adopts an analytical–theoretical approach that integrates psychoanalytic concepts with models of artistic expression, highlighting how inner desires and psychological conflicts are translated into chromatic and linear symbols that evoke emotional responses in the viewer.

The article is structured into four main axes: the first clarifies the role of psychoanalysis as a framework for understanding artistic creativity; the second explains the mechanisms of the visual unconscious in perception and production; the third emphasizes the social dimension of plastic art as a mirror of the collective unconscious; and the fourth analyzes the hidden structure of the human mind and its artistic manifestations through symbolic forms. The study concludes that plastic art serves as a cognitive medium that complements psychoanalysis in uncovering the depths of the human psyche, where artwork is understood not as isolated aesthetics but as a psycho–social record that reveals what consciousness fails to articulate. The findings highlight that integrating psychoanalysis and visual arts provides deeper insight into human self–understanding and grants visual studies a new interdisciplinary dimension that bridges science and aesthetics.

Keywords: Psychoanalysis, the Unconscious, Plastic Arts, Hidden Structure.

المقدمة:

يعدّ الفن التشكيلي أحد أبرز الميادين التي تكشف عن علاقة الإنسان العميقة بذاته وبالعالم المحيط به، حيث لا يقتصر دوره على كونه وسيلة بصرية جمالية، بل يتجاوز ذلك ليصبح لغة نفسية معقدة تتيح التعبير عن الدوافع والرغبات والمكبوتات الكامنة في العقل الإنساني. إن التحليل النفسي، منذ تأسيسه على يد سيغموند فرويد وتطويره من قبل كارل يونغ وآخرين,(chara,Hoom&Yue، ٢٠١٩ , P25)ألقى بظلاله على فهم العملية الإبداعية، مؤكّدا أن الأعمال الفنية ليست مجرد نتاج عقل واعٍ يخطط وينفذ، وإنما هي أيضا انعكاس لما يتجاوز حدود الوعي المباشر، أي للاوعي. ومن هنا، فإن دراسة الفن التشكيلي من منظور التحليل النفسي تكشف عن طبقات متداخلة من الرموز والدلالات التي لا تقرأ على السطح، وإنما تستنبط من أعماق التكوينات البصرية.

فالخطوط، والألوان، والأشكال، ليست حيادية في سياق العمل الفني، بل تمثل علامات نفسية تستدعي تفسيرات تتصل بالخبرات الفردية والجمعية. إذ يمكن للوحة أن تجسد صراعا داخليا بين الغرائز والرقابة، أو أن تعيد صياغة أحلام ورؤى مكبوتة في صورة رمزية. وبذلك يصبح العمل التشكيلي نصا بصريا يمكّن الباحث من الدخول إلى البنية الخفية للعقل، وقراءة ما لا يمكن للغة المباشرة أن تفصح عنه. ومن هذا المنطلق، تهدف هذه المقالة إلى استكشاف كيف يعكس الفن التشكيلي، من خلال مقاربة نفسية تحليلية، عمق اللاوعي البصري، ويكشف في الوقت نفسه عن البنية الخفية للعقل الإنساني بما تحمله من توترات ورغبات ومخيالات.

أولا: التحليل النفسي والفن كنافذة على اللاوعي (V5, ٢٠٢٠, Koşak)

شكّل ظهور التحليل النفسي على يد سيغموند فرويد منعطفا مهما في فهم طبيعة الإبداع الفني، حيث اعتبر أن الفن يمثّل امتدادا للأحلام والهفوات باعتبارها آليات يعبر من خلالها اللاوعي عن رغباته المكبوتة. فالعمل الفني، وفقا لهذا المنظور، ليس مجرد نتاج إرادي لعقل واعٍ (Zalman, ٢٠٢٥ , P15)، بل هو إفراز لمحتويات نفسية عميقة تتخذ شكل رموز بصرية يمكن قراءتها وتأويلها. إذ يرى فرويد أن الفنان يستمد مادته الإبداعية من مكبوتات الطفولة والخيالات الغريزية التي تعاد صياغتها بصورة مقبولة اجتماعيا عبر وسائط الفن. أما كارل يونغ فقد وسع هذه الرؤية من خلال طرح مفهوم "اللاوعي الجمعي" بما يحمله من أنماط أصلية أو "أركيتيبات" مشتركة بين الثقافات، مثل صورة الأم، البطل، والظل، والتي يجد الفنان في كثير من الأحيان نفسه معبرا عنها من دون وعي مباشر. وبهذا، يصبح العمل التشكيلي ساحة يتقاطع فيها الفردي مع الجمعي، حيث تعكس اللوحة أو المنحوتة الصراعات الخاصة للفنان وفي الوقت نفسه تفصح عن رموز إنسانية عامة تستثير وجدان المتلقي. إن فهم الفن من منظور التحليل النفسي يفتح المجال لقراءته كنص بصري موازٍ للنصوص الأدبية أو

الأحلام، نص يظهر المكنون النفسي في صور وألوان وخطوط، ويمنح الباحث إمكانية الغوص في البنية الخفية للعقل الإنساني من خلال منظومة رمزية متشابكة.

ثانياً: اللاوعي البصري وآلياته الإدراكية

يشير مفهوم **اللاوعي البصري** إلى تلك العمليات الإدراكية العميقة التي تعمل في خلفية الجهاز النفسي من دون تدخل مباشر من الوعي، لكنها تؤثر بشكل ملموس في إنتاج وتلقي العمل الفني. فالعين البشرية لا تنقل الواقع كما هو، بل تقوم بتصفية المدركات الحسية وإعادة تنظيمها وفق تجارب سابقة وخبرات وجدانية ومكبوتات داخلية. وهنا تتجلى أهمية الفن التشكيلي بوصفه حقلاً يتيح لهذه الطبقات غير الواعية أن تعبر عن نفسها في هيئة خطوط، وألوان، وأشكال، قد لا يكون الفنان مدركاً لكل أبعادها النفسية أثناء عملية الإبداع.

لقد أظهرت الدراسات في علم النفس المعرفي أن الألوان على سبيل المثال تمتلك طاقة رمزية قادرة على إثارة استجابات شعورية لاواعية(Yip & Culture, 2020 , p122)؛ فالأحمر يرتبط بالانفعال والقلق، بينما الأزرق يعكس هدوءا وغموضا، في حين يشير الأخضر إلى الحياة والتجدد. أما التكوينات البصرية غير المتوازنة أو المشوهة فتثير لدى المتلقي مشاعر الغموض والارتباك، وهو ما يعكس صراعا داخليا أو اضطرابا نفسيا متجسدا في العمل الفني. ومن زاوية التحليل النفسي، فإن هذه الرموز البصرية تشبه إلى حد كبير لغة الحلم، إذ تخفي تحت أشكالها البسيطة معانٍ أعمق ترتبط بالرغبات والمكبوتات (Nemnom , , , 2021, P18) لذلك يمكن النظر إلى اللاوعي البصري باعتباره آلية إدراكية–إبداعية مزدوجة: فهو من جهة يوجه الفنان من دون وعي مباشر، ومن جهة أخرى يفعل لدى المتلقي استجابات وجدانية تكشف عن أثر العمل الفني في عمق التجربة الإنسانية.

ثالثاً: الفن التشكيلي كبنية نفسية اجتماعية

لا يقتصر دور الفن التشكيلي على كونه انعكاسا لخبرات الفنان الفردية وصراعاته الداخلية، بل يتجاوز ذلك ليغدو نصا بصريا يجسد البنية النفسية للمجتمع الذي ينتمي إليه(Haskell, Fer, Batchelor, & Wood p154, 1993,.) فالأعمال الفنية، مهما بدت ذاتية، تحمل في طياتها إشارات إلى اللاوعي الجمعي بما يختزنه من مخاوف، وتوترات، ورغبات مشتركة، وهو ما يجعل الفن أداة مزدوجة: فردية في ممارستها، وجماعية في أثرها وتأويلها. ومن هذا المنطلق، فإن تحليل الأعمال التشكيلية يتيح فهماً أوسع للبنية النفسية والاجتماعية في لحظة تاريخية محددة.

لقد مثّلت الحركات الفنية الكبرى في القرن العشرين دليلاً واضحا على هذا البعد الجمعي. فالسريالية، على سبيل المثال، لم تكن مجرد اتجاه فردي في التعبير عن الأحلام والخيالات، بل جاءت كردّ فعل حضاري على صدمات الحرب العالمية الأولى وما رافقها من انهيار للثقة بالعقل

والعلم. إن اللوحات المليئة بالمفارقات البصرية والرموز الغريبة كانت انعكاسا لاضطراب جمعي وقلق وجودي ساد المجتمعات الأوروبية آنذاك. وبالمثل(Tunalı & Winkenweder , p66 ,2025 ،) فإن الاتجاهات التعبيرية عبرت عن الأزمات الروحية والاجتماعية عبر مبالغات لونية وشكلية هدفت إلى إثارة الوجدان وكشف مكبوتات الجماعة.

كما أن للفن التشكيلي وظيفة أخرى تتعلق بتمثيل هوية المجتمع وإعادة إنتاجها بصريا. فاللوحات التي تتناول القيم الدينية أو التراثية لا تعكس بالضرورة قناعات شخصية للفنان(,2024 ,p13), Daly، بل تعبر عن منظومة قيم جمعية يريد المجتمع ترسيخها في وعي أفراده. وهنا يصبح الفنان بمثابة وسيط رمزي بين الفرد والجماعة، ينقل عبر العمل الفني رسائل لاواعية تتعلق بالانتماء والذاكرة الجمعية. حتى في الفنون التجريدية، التي تبدو منقطعة عن المرجع الواقعي، يمكن قراءة التكوينات والألوان على أنها انعكاس لحالة حضارية عامة، سواء أكانت مرتبطة بالتحرر الفكري أو بالاضطرابات الوجودية.

إن النظر إلى الفن التشكيلي كبنية نفسية اجتماعية يفتح المجال لقراءته كوثيقة حضارية تحمل في طياتها بصمات المجتمع وتجاربه العاطفية والفكرية. فالعمل الفني، في هذه الحالة، لا يدرك فقط باعتباره نتاجا جماليا فرديا، بل بوصفه سجلاً نفسيا–اجتماعيا يختزن خطابا غير مباشر عن القيم والمخاوف والتطلعات. وبهذا المعنى، يغدو الفن التشكيلي مرآة مزدوجة: مرآة للفنان الفرد بما يحمله من مكبوتات، ومرآة للمجتمع بما يحتويه من لاوعي جمعي، وهو ما يمنحه قوة خاصة في الكشف عن البنية الخفية للعقل الإنساني الجماعي.

رابعاً: البنية الخفية للعقل الإنساني وتجلياتها الفنية

تُظهر الدراسات النفسية أن العقل الإنساني يتكون من طبقات متداخلة تشمل الوعي، وما قبل الوعي ، واللاوعي، وهذه البنية المعقدة تنعكس بشكل واضح في الفنون التشكيلية. فالعمل الفني لا يقتصر على كونه بناء جمالياً يتألف من خطوط وألوان، بل يمثل تجسيداً بصرياً للبنية الخفية للعقل، حيث تتقاطع الرغبات المكبوتة مع الرقابة الأخلاقية والاجتماعية في صورة رموز وأشكال بصرية. وبذلك يصبح الفن التشكيلي مرآة نفسية عميقة تتيح قراءة التوتر المستمر بين القوى الدافعة في النفس البشرية، سواء أكانت غريزية أم عقلانية(Dell & image. ,2003 ,10 v)

إن حضور الرموز في الفن يعبر عن هذه البنية الخفية بوضوح. فعناصر مثل الأقنعة، العيون، الأبواب المغلقة، أو الأجساد المشوهة، ليست تفاصيل اعتباطية، بل علامات تنبثق من أعماق اللاوعي لتعكس قلقاً داخلياً أو رغبة مكبوتة. ويشبه هذا المنطق إلى حد بعيد لغة الأحلام التي درسها فرويد، حيث لا يعبر العقل عن رغباته بشكل مباشر، بل يعيد صياغتها في صور رمزية. وهنا يمكن النظر إلى العمل الفني بوصفه "حلماً معلناً"، يتيح للمشاهد قراءة ما هو خفي من خلال التكوينات البصرية.

كذلك يرى يونغ أن الأشكال المتكررة في الفنون العالمية تعبر عن أركيتيبات متجذرة في اللاوعي الجمعي، مثل رمزية الدوائر التي تدل على الكمال والخلود، أو المثلثات التي تشير إلى الصراع بين القوى المتعارضة. هذه الرموز (Haskell et al., 1993, p66) وإن استخدمت بوعي أو من دون وعي، تعكس بنية عقلية عميقة تتجاوز الفنان الفردي لتصل إلى تجارب إنسانية مشتركة. ومن هنا، تصبح الأعمال التشكيلية وسيلة لتجسيد هذه البنية الخفية، ليس فقط على مستوى الفرد، بل على مستوى الحضارات والثقافات.

إن البنية الخفية للعقل الإنساني كما تتجلى في الفن تمنح المتلقي فرصة للتأمل في ذاته وفي مجتمعه. فعندما يتفاعل المشاهد مع لوحة سريالية أو تجريدية، فإنه يشارك، من حيث لا يدري، في عملية كشف وإعادة إنتاج لمكبوتاته ومخاوفه، وهو ما يجعل التجربة الجمالية تجربة نفسية بامتياز. لذلك فإن قراءة الأعمال التشكيلية عبر منظور التحليل النفسي تتيح لنا فهماً أعمق لطبيعة الإنسان(Chare et al , ٢٠١٩،p32)لأنها تكشف أن الفن ليس ترفاً بصرياً، بل وسيلة لتمثيل الصراعات الداخلية والبنى العقلية التي لا يفصح عنها الوعي المباشر.

الخاتمة

يكشف التداخل بين علم النفس والفن التشكيلي عن وحدة عميقة تربط بين الإبداع الفني والبنية الخفية للعقل الإنساني. فكما يسعى علم النفس التحليلي إلى كشف الدوافع والمكبوتات الكامنة خلف السلوك الإنساني، يعمل الفن التشكيلي على تحويل تلك الدوافع إلى صور ورموز بصرية تمنحها حضورا ملموسا. وبهذا يصبح العمل الفني مساحة مشتركة بين العلم والفن؛ الأول يحلل ويؤول، والثاني يجسد ويعرض. ومن خلال هذا الترابط، يغدو الفن التشكيلي أداة معرفية موازية للتحليل النفسي، حيث يتجسد اللاوعي الفردي والجمعي في تكوينات لونية وشكلية تتيح قراءة جديدة لطبيعة الإنسان.

إن تحليل الأعمال التشكيلية بعيون نفسية يبرز كيف يمكن للرموز البصرية أن تقوم بدور اللغة البديلة، فتتحدث عن الرغبات والصراعات التي يعجز الوعي عن التعبير عنها بالكلمات. كما أن دراسة الأثر النفسي للعمل الفني على المتلقي تكشف أن التفاعل الجمالي ليس مجرد تجربة حسية، بل تجربة وجدانية معرفية تعكس صلة مباشرة بين البنية الداخلية للعقل والمحفزات البصرية. ومن هنا، فإن العلاقة بين التحليل النفسي والفن التشكيلي ليست علاقة خارجية أو ظرفية، بل علاقة تكاملية، حيث يثري كل منهما الآخر: التحليل النفسي يمد الفن بأدوات الفهم والتأويل، والفن يمنح علم النفس مادة ملموسة لفحص أعماق اللاوعي. وهذا ما يجعل الفن التشكيلي وسيطاً فريدا لفهم الإنسان في أبعاده النفسية والوجودية.

المصادر

- Chare, N., Hoorn, J., & Yue, A. (2019). *Re-reading the monstrous-feminine*: Routledge.
- Daly, L.-A. (2024). *The appropriation of surrealism as an aesthetic for consumption.* Institute of Art, Design+ Technology,
- Dell, S. J. W., & image. (2003). Love and surrealism: René magritte and andré breton in 1929. *19*(3), 214-222.
- Haskell, F., Fer, B., Batchelor, D., & Wood, P. (1993). *Realism, rationalism, surrealism: Art between the wars* (Vol. 3): Yale University Press.
- Koşak, A. (2020). A critical analysis of" conservative art" discourse within the context of akpcultural policy: Yeditepe biennial.
- Nemnom, C. (2021). *Losing sight to gain vision: The eye in european surrealist painting.* Concordia University,
- Tunalı, T., & Winkenweder, B. (2025). *The routledge companion to marxisms in art history*: Taylor & Francis.
- Yip, D. K.-M. J. R. t. D. H. i. A. N. R. o. A., History, & Culture. (2020). Cinematic surrealism of the interactive virtual space. 53-71.
- Zalman, S. (2025). Magritte, marxism, and modern art. In *The routledge companion to marxisms in art history* (pp. 247-255): Routledge.